الحياة من حولنا

(١٠)

قصة الموسيقى

بقلم

الدكتور إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي

٢٠٠٠م

قصة الموسيقى

المؤلف : الدكتور إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي

الناشر : مركز الإسكندرية للكتاب

تاريخ النشر : ٢٠٠٠م الطبعة الأولى

رقم الإيداع :

التصنيف الدولي :

قصة الموسيقى

الموسيقى عُرِفت منذ فجر التاريخ ..وهى لغة عالمية ..

ولقد خدمت الموسيقى البشرية في تحقيق التوحيد بين أحاسيس البشر رجالاً ونساءً ، أطفالاً وشباباً وشيوخاً ...

واستخدمت الموسيقى كوسيلة رئيسية للعبادة والربط بين الآلهة والبشر في الحضارات القديمة ...

وكذلك استخدمت في نشر التعاليم والقوانين ، كما استخدمت في الحروب كوسيلة من وسائل توحيد المشاعر بين فئات الشعب تعبيرا عن التضامن الداخلي والوطني والقومي ...

بالإضافة إلى ذلك ، فالموسيقى توجد حولنا في كل مكان ، وأبسط أشكالها الموسيقى الطبيعية وهي غناء الطيور ...

تاريخ الموسيقى

ولقد بدأ الإنسان في استخدام إشارات الصوت الصادرة من التصفيق باليدين ، وكذلك الحركة الصادرة من أعضاء جسم الإنسان مثل الدبيب بالقدمين ، للتعبير عن نفسه ، وبالتالي كانت هذه الإشارات تعبر عن شكل مبسط للموسيقى .

وتأتى الموسيقى من الإيقاع المنتظم٠٠٠

والإيقاع ينبع دائما من الحركة المنتظمة . وتكرار هذا الإيقاع المنتظم هو ما ينتج عنه شكل إيقاعي موسيقى ٠٠٠

ولقد بدأت الموسيقى تظهر في الحضارة المصرية القديمة " حضارة الفراعنة " ، وذلك منذ ما يقرب من أربعة آلاف سنة قبل الميلاد ، " أي ستة آلاف عام مضت " ٠٠٠

وعنها نقلت الحضارة اليونانية الموسيقى والأغاني إلى أوروبا وجعلوا الموسيقى المصرية وسيلة من وسائل تطوير موسيقاهم وفنونهم الأوربية .

ومنذ القرن الثاني بعد الميلاد ، بدأت تجربة جديدة للربط بين الإنسان والصوت والموسيقى ، أي الربط بين الصوت ولون العصر أو الحياة ونوع المعيشة ٠٠٠

فمنذ أن جاء " بطليموس " العالم السكندري العظيم ارتبط الفن الموسيقى باستخدام ألوان حسية أخرى حتى تكمل الموسيقى المناسبة للحياة .. لأن الموسيقى عبارة عن مجموعة أصوات ،

وكل صوت عبارة عن تردد معين لعدد محدد من الذبذبات في الثانية الواحدة ، بينما لكل لون موسيقي موجود عدد من الذبـذبات فـي الثانية الواحدة .

تم ربط نيوتن بين ألوان الطيف وهى سبعة ألوان هي :

" الأحمر ــ الأصفر ــ الأخضر ــ الأزرق ــ الأسود ــ البرتقالي ــ البني " ٠٠٠ مع الأصوات الموسيقية السبعة وهي :

" دو ــ ري ــ مي ــ فا ــ صول ــ لا ــ سي ".

أما الموسيقى الأمريكية فقد بدأت منذ الاستقلال للولايـات المتحـدة الأمريكية في نهاية القرن الثامن عشر ، وكان أول ملحن أمريكـي فرنسيس هوبكنسون ، وكان هناك العديد مـن كبـار الموسـيقيين الأمريكيين الذين قاموا بتطوير الموسيقى العالمية ، ومن أشـهرهم روي هاريس الذي ألف السيمفونية الرابعـة والخامـسة ، وطـور السيمفونية الرابعة ومن أهم مؤلفاته الموسـيقية رقـصة الـزمن والرباعية الوترية ٠

الآلات الموسيقية

ومنذ القرن السابع عشر ...

قام بعض العلماء في علوم وفنون الموسيقى بتجارب تهـدف إلـى أداء موسيقي يتم رؤيته في نفس الوقت " أي لا يُسمع فقط " وذلـك بتصنيع آلات موسيقية جديدة مثل : الأورجن ـ الهاربسيكور ، وهى آلات تعزف الموسيقى ، وتنتج في نفس الوقت الألوان المقابلة لما يتم عزفه ...

واستمر الموسيقيون في اختراع الآلات الموسـيقية التـي تُبْـرز الألوان مع الموسيقى .

وتتعدد الآلات الموسيقية المختلفة حاليا مثل :

آلات النقر : وهي التي تصدر أصواتاً موسيقية عندما يـتم النقـر عليها سواء بيد العازف أو بأي شيء آخر ، وهـي أبسط الآلات الموسيقية ، ومنها : "الأجراس "و " الرق " والطبلة " .

ومثل الآلات الوترية أو الآلات ذات الرنين الكامل ، وهـي التـي تصدر أصواتا موسيقية عندما يلعب العازف على أوتارها مـستخدما أصابعه أو ريشة للعزف (وهي قطعة من البلاستيك أو مـن عظـم ظهر السلحفاة) ، مثل : والكمان ، والجيتـار والـشيللو والقيثـار والسيتار وغيرها من الآلات الموسيقية...

وهناك آلات الدساتين ، وهي التي بها صفوف من الأصـابع التـي يعزف عليها العازف ، حيث يوجد إصبع أو مفتاح لكل نغمة ، وتُمكن

العازف من العزف عدة نغمات في وقت واحد ، ومن أشهرها البيانو والأرغن والأكورديون ٠

مع الأخذ في الاعتبار آلات النفير والنفيخ الموسيقية ، وهي أنابيب مصنوعة من الخشب أو المعدن أو أية مادة أخرى ، وتصدر منهـا أصواتاً موسيقية عندما ينفخ العازف مباشرة ، وقد يقـوم العـازف بتغيير النغمات من خلال قيامه بفتح أو سد الثقوب الموجودة بالآلة بأصابعه ، ومن هذه الآلات : المزمار والنـاي والبـوق والفلـوت والكلارنيت وغيرها ٠٠٠ولذلك تبلغ أنواع الآلات الموسيقية أكثـر من ٣٥٠ نوعاً .

القوالب الموسيقية

ونجد أن كل عصر من العصور التاريخية قد تميز بقوالب موسيقية متميزة ، ترتبط بالفكر والمجتمع والتقاليد والسياسة ونظام الحكم والدين السائد في هذا العصر ٠٠٠

كما ارتبطت تلك القوالب بالآلات الموسيقية ، ومن هذه القوالب نجد : " الموتت " و " القداس " و " الأغنية الشعبية " و " الترنيمة " و " المادريجال " ٠٠٠

وكل هذه الأنواع تعتمد أساسا على الصوت البشرى ٠٠٠

وهناك الأوبرا و الغنائية والأوراتوريو ، وهى قوالب تصلح لمزيج من الآلات الموسيقية والأصوات٠٠٠

أما القوالب الآلية الصرفه فهي : السيمفونية والسوناته والفوجة والكونشيرتو ، والتوكاتا ، والمتتالية .

استخدامات الموسيقى

وتستخدم الآلات الموسيقية لبعض الأغراض العلمية وليس لمجـــرد المتعة فقط ، ومن هذه الاستخدامات :

ــ استعراض مفاهيم موسيقية مختلفة مثل : خافت ــ شديد ــ حثيث ــ متمهل ، وهي في نفس الوقت مفاهيم للحياة ٠

ــ الاستماع للموسيقي ولأداء المؤلفات الموسيقية الفنيـــة ولخلـــق الجو الانفعالي المطلوب ٠

ــ تنمية الحس بالإيقاع والاستجابة للنـــبض المنـــتظم ولرقـــصات الأطفال ولنبر الوزن ٠

ــ تطوير السمع والإنصات بالتعرف على الألحان وملاحظة الفروق بين الألحان ٠

وتتميز الموسيقى باشتراك كل من : المؤلف والمؤدى مثـــل العازف والمغنى والمايسترو ، وكذلك المستمع في خاصية الإبـــداع الموسيقى لأن الموسيقى هي الفن الوحيد بين الفنون الذي لا يوجد إلا بالثلاثة (المؤلف ــ العازف ــ المستمع)

أبـرز الموسيـقيين العالميين

ومن أبرز الموسيقيين العالميين على مدى التاريخ نجد :

" بيتهوفن " الفنان الذي ولد بمدينة بون بألمانيا يوم ١٦ ديـسمبر ١٧٧٠م ، وتعلم الموسيقى منذ صغره ، ثم أصيب بالصمم ، ولكنه كان ملكا للموسيقى ، وأَلف السيمفونيات التسع ، ومئات من أعماله الأخرى ومات في ٢٦ مارس سنة ١٨٢٧م ...

وهناك " برامز " الألماني الذي أَلف أربع سيمفونيات ...

وهناك " تشايكوفسكى " الروسي الذي يعتبر إماما للتأليف الموسيقى عبر التاريخ ، والذي ألَف سبع سيمفونيات ، وروائع من موسـيقى الباليه والأوبرا والكورال ...

وهناك " دافور جاك " وهو من تشيكوسلوفاكيا ، وقـدم للبـشرية العديد من التراث الموسيقى المتنوع والألحان الشعبية الرائعة ...

وأيضا " فرانز ليست " المجرى وقدم سيمفونيتين في منهي الإبـداع الموسيقي ...

ثم هناك " شوبان " البولندي الـذي وضـع الكثيـر مـن الأعمـال الموسيقية الرائعة ...

وهناك " فاجنر " الألماني الذي أَلَّف وقدم الكثير مـن الموسـيقى ، وابتكر نوعاً من الآلات الموسيقية الذي يحمل اسمه ...

وهناك العديد من الأسماء في الفنون الموسيقية العالميـة مثـل : رافيل الروسي ، ودى فايا الأسباني ، وبارتوك المجرى .

المتعة الموسيقية

والاستماع باستغراق للموسيقى هو ببساطة مُتعه شخصية .. والاستماع بالموسيقى يمنح حياتنا قيما جمالية ..

ولذلك كانت عملية المتعة الموسيقية الجمالية توصف بأنها : خبرة ممتعه تتجدد على الدوام ، وتتضمن الفهم العقلي والتجاوب العاطفي للمستمع للموسيقى .

فالموسيقى تتميز بقدرتها العجيبة على تصوير انفعالات الناس وخلجات البشر في لحظات مختلفة من حياتهم ، إنها تغمر الناس بالفرح عندما تصب سحرها في أنغام الموسيقى السارة ، وفي غناء الجندي في مسيرته لإكسابه النشاط والحماس وتنظيم خطواته ، حتى في مواقف الحزن والألم تُساعد الموسيقى على التعبير عن الأسى ، فالموسيقى ترافق الإنسان طوال حياته ٠

مصطلحات موسيقية

الافتتاحية :

هي إحدى جوانب القوالب الموسيقية الهامة ، وهى قصيرة نسبيا ، تتروح طول القطعة منها ما بين أربع وعشر دقـائق ، وهـى ذات حركة سريعة ، وفى الغالب تكون براقة ونشيطة ومعبرة . وهى من موسيقى الآلات التي تعزف كمقدمة للأوبرا أو أي عمل فني غنائي .

السوناته :

كلمة مشتقة من اللاتينية ، وتعنى " ما يعزف ويغنى " ، ولقد اتصفت التسمية بالمقطوعات التي تعزف بالآلات الموسيقية .

الكونشيرتو :

قالب موسيقى ، يتضمن أكثر من غيره تجسيدا للحـوار والـدراما والبحث عن الحقيقة .

وهو عبارة عن عمل كبير لآلة منفردة مع الأوركـسترا الكامـل ، وسواء كانت هذه الآلة المنفردة بيانو أو فيولينـه .. فهـي تقـوم بالدور الرئيسي في حوارها وصراعها مع الأوركسترا الكامل .

السيمفونية :

هي عمل موسيقى كبير للأوركسترا الكامل ، وينقسم عادة إلى أربعة أجزاء " حركات " ، ويمتد طولها الزمني ما بـين نـصف الـساعة وثلاث أرباع الساعة .

والسيمفونية تدور حول طبيعة واحدة تميز السيمفونية ، ويختلف كل جزء من أجزاء السيمفونية عن الأخرى في سرعته ، وقالبه ، وطابعه العام ، حتى يكون لهذا التنويع أثرا في التعبير الموسيقى ، وجذبا للمستمع ، واستعراضا لإمكانيات المؤلف ،وحيوية وتجديد وتكامل موسيقى .

اللحـــــن :

هو انسجام النغمات الموسيقية ، أو تكييف النغمات العالية والنغمات المنخفضة في تناسق يُسعد الناس ، فهو جزء من القطعة الموسيقية ، وتكون الألحان سهلة بسيطة كما هي في أغاني " البوب " وتكون أكثر صعوبة كما هي في سيمفونيات بيتهوفن أو تشايكوفسكي التي تتضمن مزيجا من الألحان المتكاملة والمتداخلة ٠

الإيقـــــاع :

هو النقر المتكرر بانتظام في قطعة موسيقية ، وتتألف أبسط الموسيقى من إيقاعات فقط ، تُضرب على شيء يُحدث صوتاً ، مثل الطبل أو الرق أو قطعة خشب مجوفة ٠

النغمات الموسيقية :

هي الأصوات المرتبة التي تجعل الناس يستمتعون بالاستماع إليها ، وتكون بعض هذه النغمات عالية وبعضها منخفضاً ، كما يكون بعضها قصيراً وبعضها طويلاً ، وتكون هذه النغمات منسجمة مع بعضها البعض ٠

الأوبـــــرا :

عبارة عن مسرحية غنائية تلعب الموسيقى أهم دور فيها ، وظهرت الأوبرا كفن موسيقى مستقل مع نهاية القرن السادس عشر ، وكان أول مؤلف أوبرالي عظيم هو كلوديو مونتيفيردي ، ومن أهم أعمال الأوبرا العالمية أوبرا عايدة التي عُرضت مع افتتاح قناة الـسويس في مصر ، ثم عرضت أكثر من مرة في الأقصر ، وفي منطقة الهرم وأبو الهول ٠

الموسيقى الكلاسيكية :

وهي الموسيقى المستمدة من الموسيقى القديمة ولكن بطرق جديدة لمعالجة الإيقاع واللحن ، وهي غالباً موسيقى عاطفية حالمة٠

موسيقى البوب :

وهى موسيقى تستهوي الشباب ، وتتألف مـن إيقاعـات وألحـان مستمدة من كثير من أنواع الموسيقى المختلفة ، وهـي موسـيقى صاخبة قوية الإيقاع ، ولكن الاستمتاع بها يكون قصيرا ووقتياً ٠

موسيقى الجاز :

هي موسيقى أمريكية ، أتت عقب تحرر العبيد الزنـوج بالولايـات المتحدة الأمريكية في عام ١٨٦٥م ، حيث استخدموا كل ما صادفوه من آلات معا في وقت واحد ، بطريقة ارتجاليـة، وانتـشرت تلـك الموسيقى لأنها تبدأ بلحن بسيط ٠

أوركسترا :

وهي الفرقة الموسيقية أي مجموعة من العازفين التي يقوم كل فرد من أعضائها بالعزف على آلة موسيقية واحدة في لحن موسيقى واحد ، فهي التي تقدم الموسيقى ذات الأنغام الموسيقية الواضحة ، سواء كانت عاطفية أو مرحة أو تعبيرية عميقة ، أو موسيقي وطنية ذات هدف سياسي ٠

ويتم ترتيب العازفين في الأوركسترا بطريقة معينة ، تكون فيها الآلات الوترية عادة في المقدمة وآلات النقر في الخلف ، ويقف قائد الفرقة " المايسترو " في مواجهة الموسيقيين ممسكا بعصاه أو مشيرا بيديه وتحركات جسمه لقيادة الأوركسترا أثناء عزف قطعة موسيقية معينة ٠